مع الشيطان

كنت اقرأ الليلة البارحة في كتاب (مدحت باشا) لمؤلفه الاستاذ قدري قلعجي الذي يكفي ان اقول في تعريفه (انه الرجل الذي استطاع ان ينير من تفكير اكثر الادباء ونظرتهم الى الحياة بما اخرج من كتب هي دراسات عميقة لرجال اقل ما يقال فيهم انهم غيروا وجه التاريخ بل صنعوا التاريخ ، ومدحت باشا احداولئك الافذاذ القلائل الذين صنعوا تاريخ هذا الشرق بأسره ووجهوه هذا الوجه الذي نراه ونلمسه في هذه النهضة المباركة .

وألقيت بالكتاب جانباً حين أزف وقت النوم ، ولكن قد تغفي العين ويظل الفكر يقظاً ، وقد يغفى هذا وتغفى تلك ولايغفى ما يسميه علماء النفس بالعقل الباطن فانه وهو من ورائها يكفي لان يدعك يقظانا وان كنت هاجعاً اذا ظل هو كذلك ، والويل كل الويل لمن اراد النوم فنامت عينه ونام فكره ولم ينم عقله الباطن .

وقد كان لي الويل في تلك الليلة ، ولكنه كان ويلا حبيباً الى نفسي عزيزاً على قلبي فقد اشعرني بلذة عقلية روحية عجيبة لازال اذكرها مغتبطاً .

فقد رأيت فيما يرى النائم كأنني قد دخلت دائرة من الدوائر واخالها دائرة عثمانية ، وربما كانت في زماننا هذا دائرة يتناوبها موظفون من مخلفات الجيش العثماني..! وبيدي ورقة احسب انها كانت عريضة اطلب فيها رفع ظلامة لحقت بي هي استلاب ملك من املاكي ، ولازال اذكر ضحكي في نفسي من هذه العريضة وهذه الشكوى لاني كنت عند نفسي اعلم انني لا املك شبراً في ارض ولافي سماء .

ولكن الكاتب الذي دخلت عليه يعرض عني ويتجاهل وجودي بادىء بدء ثم اتقدم منه فينهرني ، واذا بهامس يهمس في اذني فالتفت اليه فارى صاحبي الشيطان الى جانبي قائلا : إمددبدك إلى جيبك واخرج منها الورقة الزرقاء ذات الصورة المائية تبلغ ما تريد . وبحركة لاشعورية تمتد يدي الى جيبي وأنا اعلم انه ليس في جيبي ورقة من هذا اللون ، واذا بي اجدها كما قال واذا هي الورقة التي هي غاية ما يعمل له الموظفون في أيامنا . اما من اين جاءت ومن اين نزلت جيبي فذلك علمه عند صاحبي الشيطان .

وادسها مع العريضة الى الموظف ؛ ولا ادري كيف قبلها مني وهو في زمن لم يعرف الدينار ولا آباء الدينار ولا ابناء الدينار ، فينبض ويستقبلني احسن استقبال ويحييني احسن تحية بكلمات وعبارات لم افهم منها غير (بك) (باشا) ثم يتناول العريضة ويكتب فيها ما يكتب ويذهب ، بها الى حيث يذهب ويعود وهو يجعل لي الامر لا ادري ان كان همايونياً اوغيرهمايوني ، ولكنه على كل حال كان امراً مما اسم مالك واثبت آخر بمكانه بأسرع من لمح البصر .

وانتبهت وانا اتلو هذه العبارة :

اما الآن والاجحاف ظاهر فكاننا نأذن بالرشوة لذوي الرواتب الزهيدة بان نأمرهم بذلك امراً) واذا بها كلمة مدحت [١] التي قالها في بغداد يوم ولي عليها قبل اكثر من ثلاثة ارباع القرن .

يرحم الله مدحت باشا وطيب ثراه

الجاحظ الصغير

---

[١] كتاب مدحت باشا ص ١٦

تشطير ابيات الوزير المغربي

للاستاذ السيد يوسف الحلو

اقول لها والعيس تحدج للسرى ... وقد اثر الحب المبرح في صدري

بحرمة مابيني وبينك والهوى ... اعدي لفقدي ماستطعت من الصبر

سانفق ريعان الشبيبة آنفا ... ليسمو به اسمي ويعلو به ذكري

اقسم ايامي على رغم حاسدي ... على طلب العلياء اوطلب الاجر

اليس من الخسران ان لياليا ... يقطعها الانسان بالاثم والوزر

فلا اترك الايام تمضي شوارداً ... تمر بلا نفع وتحسب من عمري